موقف المستشرق كلود جيليو من مسألة جمع القرآن ونشأة القراءات القرآنية – عرض ونقد–

The Orientalist Claude Gilliot's points of view in the Quran collection and the emergence of Quranic readings -review-

عبو فتيحة[1]

كلية العلوم الإسلامية –جامعة الجزائر–1 –

f.abbou@univ-alger.dz

أ.د/عبيب حورية

كلية العلوم الإسلامية –جامعة الجزائر–1 –

تاريخ الوصول 16 /2019/10 القبول: 2020/05/02 /النشر على الخط: 2020/06/15

Received: 16/10/2019 / Accepted: 02/05/2020 / Published online : 15/06/2020

ملخص:

لا تزال تُطرح حول القرآن الكريم ومسائله آراء وشبهاتٌ متعدّدة، وتختلف تلك الآراء باختلاف تخصصات المستشرقين واتجاهاتهم ومدارسهم، ولعّل أبرز هؤلاء المستشرقين في عصرنا الحالي: المستشرق الفرنسي كلود جيليو الذي صبّ اهتماماته على الدرس القرآني، وله في ذلك الكثير من المنشورات الأكاديمية المحكّمة بالغرب.

وتعدّ مسألة التشكيك في منشأ القرآن الكريم وجمعه وتدوينه واختلاف قراءاته من أهمّ المسائل التي أطال المستشرقون الحديث فيها، لذلك أردت من خلال هذا البحث بيان موقف كلود جيليو من مسألة جمع القرآن الكريم واختلاف قراءاته، من خلال مقاله: " origines et fixation du texte coranique"، والذي يرى فيه صعوبة توثيق تاريخ النص القرآني من خلال مصادر المسلمين لاحتوائها – بزعمه –على العديد من التناقضات والترددات، ما جعله يقترح فرضيةً " لإعادة صياغة تاريخ للقرآن"!! وقد عرضت بعض شبهاته، وعقّبت عليها بالردّ والتفنيد وفق منهجٍ علمي موضوعي بعيدٍ عن التهويل والاتهام.

الكلمات المفتاحية: كلود جيليو، الدرس القرآني، جمع القرآن الكريم، القراءات القرآنية، شبهات المستشرقين.

Abstract:

The question of suspicion in the Quran origin, gathering, registering and the different readings is considered as the most important issues that prolonged modern Orientalists. Through this research i tried to clarify the position of Claude Gilliot on the issue of the Quran collection and its different readings through his article: "origines et fixation du texte coranique", Which sees the historic documenting

[1]- المؤلّف المرسل: عبو فتيحة، البريد الإلكتروني: f.abbou@univ-alger.dz

dificulties of the Quranic text through the Muslims' sources because it contains - allegedly - many contradictions and frequencies, which led to propose a hypothesis "to reformulate the history of the Quran" !! I have presented in this article his suspicions on these issues, followed with a response and refutation in accordance with an objective scientific method away from intimidation and accusation.

Keywords: Claude Gilliot ; Quranic study ; the Quran collection ; Quranic readings ; Orientalist suspicions.

1. مقدمة :

موضوع جمع القرآن ونشأة قراءاته وتاريخه عمومًا من المواضيع التي أُثيرت حولها الشبهات العديدة وطرحت فيها إشكالات كبرى لم يقع تجاوزها إلى يومنا من قبل المستشرقين، حيث اتخذ المعترضون من وقائع جمع القرآن وليجة يتسللون من خلالها للنيل من القرآن وإيقاع التشكيك فيه كونه وحيًا من عند الله عز وجل، ولا يخفى على المتتبع لمثل هذه المواضيع وصلتها بالمنظومة القرآنية أنّ مسألة جمع القرآن تحتل أهمية كبرى على مستوى البحث القرآني، وإن كانت من مفردات تاريخ القرآن، إلاّ أنّ هناك تداخلًا وثيقاً بين علوم القرآن وتأريخه. والموضوع يستمّد أهميته لتعلقه بالنص القرآني وإثبات تمامه ودرء الشبهات عنه، ويرجع سبب اختياري لهذا المقال وللمستشرق كلود جليو، أنّه: مستشرق معاصر ومعاصرته الآن، تعني الشيء الكثير والمهم، لاسيما إذا تأكد أنّه نقل واجتر أغلب آراء من سبقه من المستشرقين، خاصّة " نولدكه"، الذي يعدّ من أشهر المستشرقين وأوائل من تناولوا موضوع جمع وترتيب القرآن، كما أنّ كل من أتى بعده كان قد اعتمد على كتابه "تاريخ القرآن"، إضافةً إلى ذلك يعتبر كلود جليو من المهتمين بالدرس القرآني وأغزرهم كتابةً فيه، إذ تربو أبحاثه المنشورة عن الخمسين مؤلفاً، أغلبها في الدوريات والمشاريع الجماعية كالموسوعات والمعاجم وأعمال المؤتمرات بالفرنسية والانجليزية والألمانية، وهو معروف بأعماله عن سريانية القرآن، واهتمامه بجمع المادّة التي يمكن استعمالها في دراسة تاريخ النص القرآني وتطوراته ومنحنياته خلال القرون الأربعة الأولى.

أمّا عن اختيار المقال فهو من المقالات التي ركزّت على المرحلة التأسيسية للحقل القرآني، جمع فيه كلود العديد من نتائج الأعمال السابقة للمستشرقين في مسألة تاريخ النص القرآني، مما جعل مقاله استحضارًا كثيفًا لأبرز انشغالات الدرس الغربي، تعَرَضَ من خلاله لآراء غيره وقارن بينها ثم اقترح حلولا لما وقع بينها من تعارض.

انطلاقًا مما سبق، يمكن طرح بعض الإشكالات المتعلقة بالموضوع:

من هو المستشرق كلود جيليو؟ ماهي أهمّ آرائه الواردة في مقاله، وكيف نظر إلى مسألة جمع القرآن واكتمال النص القرآني وتعدد قراءاته فيما بعد؟ وهل اعتمد حقيقةً على المصادر الإسلامية في توثيق مسألة الجمع أم أنّه

انتقى ما يخدمه بالنقل عمن سبقه؟ بما اتصّف منهجه في التعامل مع المصادر الإسلامية وغير الإسلامية؟ وما هي أهمّ النتائج التي توصّل إليها والمقترحات؟

مراعاةً لطبيعة الموضوع وما يقتضيه المنهج من استقراءٍ لآراء كلود جيليو حول مسألتي تاريخ جمع القرآن الكريم ونشأة قراءاته القرآنية من خلال مقاله: «Origines et fixation du texte coranique»، وذلك بعد ترجمة آرائه وعرضها، ثمّ تحليلها وتقويمها أو التفنيد لما ورد فيها من شُبَه، والمقارنة بينها وبين ما جاء في كتابات المستشرقين السابقين، يأتي هذا البحث ضمن عناصر أساسية متمثّلة في : ترجمة مختصرة للمستشرق كلود جيلو، أهم أعماله ومؤلفاته، مضمون مقاله المنشور، موقفه من مسألة جمع القرآن وتدوينه وقراءاته –عرض ونقد، ثمّ خاتمة.

2. كلود جيليو وسيرته العلمية:

1.2 . نبذة تعريفية بكلود جيليو:

من الأعلام المعاصرين للدراسات القرآنية بفرنسا، أستاذ في الدراسات العربية والإسلامية بجامعة "بروفانس"[1]، من مواليد 1940/6/1م خرّيج المدرسة العليا ENS ، متحصّل على الماجستير عام 1982م، ثم الدكتوراه في 1987م، اشتغل بعدها كأستاذ بجامعة اكس AIX قرب مرسيليا جنوب فرنسا إلى أن تقاعد سنة 2006م، أشرف خلالها على العديد من طلبة الدراسات العليا من فرنسا والعالم الاسلامي المتخصصين في تفسير القرآن وفي غيره، تقلدّ بعدها العديد من المناصب[2]، وهو اليوم عضو فريق: "تاريخ العالم الإسلامي، الدين، القانون والمجتمع"، يتركّز اهتمامه في: التفسير القرآني للإسلام الكلاسيكي، تاريخ بناء نص القرآن الكريم، تاريخ بدايات الإسلام حياة محمد والتقاليد المستمدة منه، علم اللاهوت الإسلامي. [3]

2.2. أهم بحوث ومؤلفات كلود جيليو:

- La sourate al-Baqara dans le Commentaire de Ṭabarī (Le développement et le fonctionnement des traditions exégétiques à la lumière du commentaire des versets 1 à 40 de la sourate I-II) , 1982.

---

[1] جبريل سعيد رينولدز، القرآن في محيطه التاريخي، ترجمة: سعد الله السعدي، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2012م، ص09.

[2] انظر: عبد الرزاق هرماس، الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأوّل من القرن الخامس عشر للهجرة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 6، 2011، ص140.

[3] Anne Debray-Décory (2010) ; Bibliographie de Claude Gilliot ; p01
Sur le site: https://www.mehdi-azaiez.org/GILLIOT-Claude consulté le :06/08/2019.

–رسالة ماجستير بعنوان: سورة البقرة في تفسير الطبري (تطور وأداء التقاليد التفسيرية في ضوء تفسير الآيات 1–40 من السورة I–II

-Aspects de l'imaginaire islamique commun dans le Commentaire de Tabari ,1987.

–رسالة دكتوراه بعنوان: جوانب الخيال الإسلامي المشترك في شرح الطبري.

من بين الكتب:

- "Exégèse، langue et théologie en islam :L'exégèse coranique de Tabari" ,1990.

–التفسير، اللغة واللاهوت في الإسلام: تفسير القرآن للطبري.

وله العديد من المقالات والمساهمات: من بينها

«Deux études sur le Coran» (La composition des sourates mekkoises. Le Coran, Muḥammad ET le judéo-christianisme .Arabica, 1983.

–"دراستان حول القرآن" (تكوين السور المكية، القرآن، محمد و"اليهودية المسيحية").

–Les sept "lectures": corps social et Ecriture révélée, Stud. Isl., LXI (1985), p. 5-25; LXIII (1986), p. 49-62.

–القراءات السبعة: الجسم الاجتماعي وكشف الكتاب المقدس[1].

كما ساهم في الكثير من المعاجم والموسوعات، بالإضافة إلى العديد من المقالات والتقارير على الأنترنيت.

3. مضمون المقال:

إنّ هذا المقال يطرح مشكلةً تاريخية للنص القرآني، وهو موضوع شاقّ عسير تعرّض له الأقدمون ولا يزال مجال القَوْل فيه ذا سعة، وإن كانت هذه المسألة محسومة ومُوَثّقة عند علماء المسلمين، فقد تناولتها العديد من المصادر، ككتب التفسير وعلوم القرآن بالبحث والبيان، وكلها توصلت إلى نتيجة واحدة، لكنَّ طَرْحها من قِبَل المستشرقين اتّخذ منحى آخر اتّسم بالتشكيك واعتماد النصوص الشاذّة والروايات الضعيفة والواهية، مما نتج عنه مواقف مريبة حول توثيق النص القرآني، ما يفتح المجال واسعا للشكّ في صحّة القرآن، أو في وجود عناصر أجنبية عنه تسربت إليه بسبب تأخر تدوينه أو بدائية الوسائل المستعملة وغيرها...

انطلق كلود جليو في اعادة نظرته للمصادر الإسلامية في تاريخيّة القرآن من أفكار كريستوفر لوكسينبرغ في مؤلفه: " the syro-aramic reading of the koran" قراءة آرامية سريانية للقرآن، هذا وقد جمع صاحب هذه النظرية تفاصيل عن التأليف الجماعي للقرآن من التراث الإسلامي ومن القرآن نفسه ليدلّل على المرجعية

[1] انظر: Anne Debray-Décory (2010) ; Bibliographie de Claude Gilliot ; p02-03

المسيحية بالسريانية للقرآن[1]، وقد أكّد كلود جليو في بداية مقاله عن أهمّية عرض تاريخ القرآن من منظور المسلمين، قبل أن يصل النّص القرآني إلى مرحلته النهائية فالقرآن في نظره له تاريخٌ من التطورات والتصحيحات، لذلك يرى ضرورة عرض مفهوم المسلمين على حده للكيفية التي ظهر بها القرآن، قبل التطرّق إلى الطرق والكيفيات المعتمّدة في البحث النقدي الغربي.[2]

استهّل كلود جيليو حديثه عن مسألة جمع القرآن وفقًا للمصادر الإسلامية بدءً من حفظه في الصدور وصولًا إلى النسخة النهائية للنص القرآني (la vulgate)، ثمّ تطرّق إلى أهم التغييرات المجراة على النص الذي تمّ جمعه، والمشاكل المتعلقة بقراءة النسخة العثمانية، ثم مصاحف الصحابة والقراءات القرآنية وكيف نشأت، ثمّ عَرَض انتقادات المسلمين للنسخة الموّحَدة (أو المشتركة) للقرآن الكريم، محاوِلًا بذلك العثور على قرآن بدائي قبل دخول تعديلات عليه من طرف النُسّاخ والنحاة والفقهاء وحتى علماء الكلام بزعمه، كما يرى أنّ التناقضات والتردّدات التي نقلتها المصادر الإسلامية على صحّة القرآن كانت ولا تزال بالنسبة للباحثين الغربيين فرصة لاقتراح " تاريخ آخر للقرآن"، وعقَدَ لأجل ذلك عنوانًا سمّاه: " النقد التاريخي للقرآن من طرف الغربيين" استهّله بالقول أنّ مصادر المسلمين المكتوبة عن القرآن الكريم، لا تُقَدّم المساعدة الكافية لإثبات تاريخ القرآن! كما أنّه لا يوجد أي نص مكتوب بخطّ محّمد (autographe)!! [3] ويُرْجِع كلود جليو أقدمَ النُسَخِ النهائية للنص القرآني إلى القرن التاسع، وبقايا قطع نادرة جدّا، قد تعود إلى نهاية القرن السابع أو بداية القرن الثامن ولكن التواريخ في رأيه غالبًا ما تكون افتراضية، لذلك تُركّز الدراسات اليوم على فلسفة تاريخ النص القرآني وعلى نقد مصادر المسلمين، ويقترح ضرورة تبسيط هذه المسألة من خلال التمييز بين تيارين ساق من خلالهما آراء العديد من المستشرقين: أحدهما: التيار النقدي وأنصار علم التأريخ، تطرّق فيه للمراحل المختلفة لتقديس القرآن قبل وصوله إلى النص النهائي أو المدونة المغلقة كما سماها، أمّا التيار الآخر: تيارٌ تشكيكيٌ (تنقيحي) في مصداقية المصادر الإسلامية فيم يتعلّق بتاريخ كتابة المصحف، فبالنسبة له لم يأخذ النص القرآني شكله النهائي حتى نهاية القرن الثامن أو حتى بداية القرن التاسع، وأغلب المستشرقين على أنّ هذا التأريخ متُأخرٌ للغاية، وبالمقابل يعترف كلود جليو أنّه يصعب التوفيق بين الموقفين النقدي والتشكيكي بشأن نشأة القرآن ونقله، فيقترح فرضية لإعادة صياغة تاريخ القرآن، أحدها في المصّب والأخرى في المنبع، وتستند إعادة البناء في المصّب (en aval) إلى ما يسمى بالقرآن العثماني وعلى المتغيرات القرائية غير العثمانية (مصاحف الصحابة)، وهي تُمثّل اتجاه النقد التاريخي والترّي في رأيه بالأعمال الجديدة بخصوص تركيبة القرآن، أمّا إعادة

1 في نفس السياق كلود جيليو له مقال بعنوان: Langue et coran, une lecture syroaraméene du coran

2 انظر: Claude Gilliot (2008) ; Origines et fixation du texte coranique ; crain – info/ revue-études, 12 Tome 409 ; p 643

3 انظر: المرجع السابق نفسه، ص647.

البناء في المنبع (en amont) فإنّها تعتمد على إعادة بناء "نص ما قبل النص" وهي تتفق إلى حدّ ما مع التيار التشكيكي[1]- على حدّ قوله-

4. عرض لأهمّ الشبهات والردّ عليها: **من** خلال المقال تجلت العديد من المسائل والآراء، نذكر منها:

1.4. في مسألة جمع القرآن وفقا للمصادر الإسلامية: إنّ كيفية جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تُعدُّ مسألة شائكة لدى المستشرقين، وكلود جليو لا يختلف كثيرًا عمن سبقه، حيثُ يشكّك في المرويات المتعلقة بالجمع فهي في نظره تحتوي العديد من التناقضات، والتي أدّت به إلى طرح أسئلة حول صحة رواية المسلمين للحقائق، كما يرى أن عملية جمع القرآن وكتابته في عهد عثمان بن عفّان نتج عنه ما سماه المستشرق: النسخة العثمانية النهائية للنص القرآني " la vulgate othmanienne "[2] ، ويرى أنّ جمع النّص القرآني في عهد عثمان رضي الله عنه لم يكتمل دون أن يواجه اعتراضات وعوائق، واستدل على ذلك بالرفض الذي كان من الصحابي ابن مسعود (ت653هـ)، على الرغم من أنّ السنّة النّبوية تميل إلى تأييد فكرة أنّ هذه النسخة من القرآن قد تلقتها الأمّة بالقبول! كما يرى أنّ سبب الجمع في عهد الخليفة عثمان هو رغبة هذا الأخير في امتلاك مدونة قرآنية كما امتلكها باقي أصحابه، ولم تكن لأجل فرض نسخة معينة على الناس.[3]

– تفنيد الشبهات في مسألة جمع القرآن:

القولُ بأنّ ابن مسعود رضي الله عنه لم يوافق على نسخة عثمان رضي الله عنه بدليل رفضه تسليم نسخته ليحرقها –واحد من أوجه التشكيك في تواتر القرآن والطعن في سلامة تلاوته، ذلك أنّ القرآن الموجود بين أيدينا–بزعمهم–ليس بموضع ثقة ولم يبلغ حد التواتر، كما شكك المستشرقون من قبل في اللجان التي أنيط بها مهمّة جمع القرآن الكريم وأنّ تكليفها كان لاعتبارات خاصة لا لكفاءة اللجنة مما ينقصه التجرد والأهلية. وهذا القول باطل من عدّة جوانب منها:

–إنّ رفض عبد الله بن مسعود تسليم نسخته لعثمان –رضي الله عنهما، بقوله: "يا معشر المسلمين كيف أُعزلُ عن نسخ المصحف، ويتولاه رجل – والله –لقد أسلمت وإنّه لفي صلب رجل كافر؟"[4] يقصد زيد بن ثابت، لا يدّل على عدم جواز جمع القرآن في مصحف، ولا انكاره لمصحف عثمان، ولا تشكيكه في صحته، وإنّما

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص652.

[2] كلمة (vulgate): هي الترجمة اللاتينية للكتاب المقدّس، وشرحها كلود في هامش مقاله: أنّها "النسخة النهائية للنص القرآني":

«la version (coranique) définitive du texte»، ينظر: origines et fixation du texte coranique Claude Gilliot، p644

[3] انظر: المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

[4] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، سورة التوبة(3104)، وأبو يعلى في مسنده، مسند أبي بكر الصديق (63) بنحوه، وصححه الألباني في صحيح، وضعيف في سنن الترمذي (3104).

لظنّه أنّه أحقّ بجمع القرآن من زيد لما له من سابقة في الإسلام ومكانة في القراءة والتلقي عن رسول الله ، على أنّه قال ذلك وقت غضبه، فلما سكت عنه الغضب أدرك حسن اختيار عثمان رضي الله عنه ومن معه من الصحابة لزيد بن ثابت ومن معه، وتراجع عن ذلك فيما بعد، وليس هذا بمطعن في زيد فكم ترك الأول للآخر[1] وتجدر الإشارة في هذا المقام أنّ اختيار كلّ من أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما لزيد بن ثابت لم يكن إلاّ لما له من المزايا التي تؤهله لهذه المهمّة الجليلة: كالشباب المقتضي للقوّة والصبر والجلد، والعقل والأمانة وعدم التهمة وهي الصفة الأهمّ وبها يتّم التوثق والاطمئنان ناهيك عن كتابة الوحي، وهذه الخصائص جميعًا لا تقتضي أفضليته على عبد الله بن مسعود وأبي بكر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم وإنّما تقتضي أهليّته لما عُهِد إليه به[2].

-إنّ ما سيق من أخبار عن عبد الله بن مسعود بشأن موقفه من مصحف عثمان إنّما فيه دليل على شدّة تمسكه رضي الله عنه بقراءة تعلّمها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غير، لأنّه لم يكن قد وصل إلى علمه إجماع الصحابة على كتابة المصحف الإمام بحسب العرضة الأخيرة، وليس يقدح تمسّكه هذا في صحّة ما فعله عثمان رضي الله عنه. [3]

وخلاصة القول أنّ موقف ابن مسعود لا يدّل على إبطال تواتر القرآن، لأنّ التواتر يكفي في القطع بصحّة مرويه أن ينقل عن جمع يُؤْمَن تواطؤهم على الكذب بشروطه، وليس من شروطه ألا يخالف فيه مخالف، حتى يقدح في تواتر القرآن أن يخالف فيه ابن مسعود أو غيره، مادام جمع غفير من الصحابة قد أقرّوا جمع القرآن على هذا النحو في عهد أبي بكر مرة، وفي عهد عثمان -رضي الله عنهما-مرة أخرى[4].

-أمّا قول كلود جيليو: "... على الرغم من أنّ السنة النبوية تميل إلى تأييد فكرة أنّ هذه النسخة من القرآن قد تلقتها الأمّة بالقبول"، لا يخلو من كونه منهجًا واضحًا لزرع الشكّ وإحداث التناقض بين المرويات، والسنة النبويّة لا تميل إلى تأييد فكرة الإجماع على النسخة العثمانية إنّما تؤكدها بأحاديث ثابتة في الصحاح، وأخبارٍ راسخة في كتب علوم القرآن التاريخ والسير وغيرها...

---

[1] انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط3، د ت، ج283/1

[2] انظر: محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1407هـ-1987م، ج1، ص286.

[3] محمّد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراق -دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ-2002م، ص 175.

[4] انظر: المرجع السابق نفسه، ج284/1

-وأمّا القول بأنّ سبب الجمع في عهد الخليفة عثمان هو رغبة هذا الأخير في امتلاك مدونة قرآنية كما امتلكها باقي أصحابه، وأنّه انفرد بقرار النسخ على غيره وليس لأجل فرض نسخة موحدّة بين المسلمين، فهو قول باطل من جهات:

-ذلك أنّ ما فعله عثمان من جمع المسلمين على مصحف واحد وإحراق ما عداه من الصحائف كان إجراءً موفقًا وضروريا لتيسير حفظ القرآن وتلاوته، ودرء الفتنة والخلاف بين القرّاء، على أنّ أحدا من الصحابة لم يخالفه حين جمع ولم يعترض عليه حين أحرق ما سواه، فهو لم يكتب نسخته التي تُنسبُ إليه منفردًا، وإنّما شكّل لجنة من كبار أصحاب رسول الله هم: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام[1]، ولم يستبدل قرآنا بقرآن كما يزعم الزاعمون وإنّ الذي قامت به اللجنة- بتوجيه منه- أنّها وحدّت قراءة القرآن الكريم بلهجة واحدة، فالقرآن نزل بلهجات العرب تيسيرًا لتلاوته وحفظه، فلما استقرّ حفظ القرآن وحّد الناس على قراءة واحدة ولم يأمر بإلغاء القراءات الأخرى، بل أمر بحرق النسخ الأخرى غير المجمع عليها ، ومن العجيب أن يتّخذ بعض المغرضين من أمر عثمان رضي الله عنه بتحريق ما عدا المصاحف التي كتبها وأرسلها إلى الأمصار ذريعة للطعن فيه، مع أنّه لم يفعل ما فعل إلّا بموافقة من الصحابة، ويعجبني في هذا ما قاله الحارث المحاسبي: " المشهور عند النّاس أنّ جامع القرآن عثمان، وليس كذلك إنّما حَمَلَ عثمانُ النّاسَ على القراءةِ بوجهٍ واحدٍ على اختيارٍ وقعَ بينه وبين من شهِدَهُ من المهاجرين والأنصار لما خشيَ الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشّام في حروف القراءاتِ، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحفُ بوجوهٍ من القراءاتِ المطلقاتِ على الحروف السّبعةِ التي نزل بها القرآن، فأمّا السابق إلى الجَمْعِ من الحَمْلَةِ فَهُو الصدّيقُ، وقد قال عليٌّ: "لَوْ وَلِيتُ لَعَمِلْتُ بالمصاحفِ عمل عثمان بها".[2]

-أمّا مسألة التشكيك في صحة روايات المسلمين للحقائق الواردة في مسألة الجمع وأنّها تحوي العديد من التناقضات، فهي مسألة مشتركة بين جميع المستشرقين.

في ذلك نقول أنّ الروايات الواردة في موضوع الجمع كثيرة، فيها ما هو صحيح في أعلى درجات الصحّة، وفيها ما هو دون ذلك، وفيها الضعيف الواهي، والمنهج العلمي يقضي الأخذ بالصحيح وترك الضعيف والواهي، أو التوفيق بين الأخبار الصحيحة الثابتة .ولكنّ كثيرًا من المستشرقين شكّكوا فيما هو صحيح ثابت دون أدنى دليل علمي كما وقع لـ "كتاني" و "إسكوالي" و "بروكلمان" من التشكيك في أن تكون واقعة اليمامة هي

[1] مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1435هـ-2014م، ص613.

[2] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1394هـ/ 1974م، ج1، ص211.

الدافع لجمع القرآن في زمن الخليفة أبي بكر بالرغم من ورود القصة في أوثق كتب الحديث[1]، وإنّنا لا نشكّ في روايات جمع القرآن، لأنّ الأدّلة على صحّتها كثيرة ومتضافرة، والمتفحص بعين البصيرة يدرك أنّ روايات جمع القرآن كلها يربطها خيط واحد رفيع ومتين، ينتهي بنا إلى الحقيقة الصارمة، وهي أنّ القرآن قد كُتب في حياة النبيّ ﷺ ، وأنّ كل وسائل الحفظ والضبط الممكنة قد استخدمت لتأمين النص القرآني، وسلامة نقله، ووجود القرآن بنصّه المنزّل حتى اليوم خير شاهد على جهود المسلمين وجهادهم في حفظ القرآن بعد حفظ الله عزّ وجلّ[2]، وخلاصة موقف كلود من روايات الجمع عمومًا إنما هو إثارة الشك والتناقض والافتراض في كل مرّة.

-أمّا وَصْفُ كلود جيليو النسخة العثمانية النهائية للنص القرآني بـ : "la vulgate othmanienne "، فيه من الإسقاط لمصطلحات اليهود والنصارى على القرآن ومسميّاته وتاريخه ما يلفت الانتباه، كلّ ذلك للتدليل على المرجعية غير العربية للقرآن، كما زعم في دراسته المعنونة بـ: (Le Coran, production littéraire de l'Antiquité tardive ou Mahomet interprète dans le "lectionnaire arabe" de La Mecque)

أنّ القرآن ما هو إلا " قِرْيَانة" تشبه القريانات التي كان السريان يجمعون في كل منها نصوصا مختلفة من كتابهم المقدس لاستخدامها في الصلوات، وهذه القريانة في العربية قد سميت خطأً بـ "القرآن"، الذي كوّنه محمد والفريق المعاون له من نصوص منتقاة من أسفار الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى وغيرهما لاستخدامها أيضا في العبادات[3].

والمتتبع لتاريخ الدراسات الاستشراقية الفرنسية يلحظ بأن أهلها استمّدوا الكثير من المصطلحات في مجال الدرس القرآني من دراسات الأناجيل عندهم فنجد مثلا: أن لفظ (Coran) لا يراد به (القرآن الكريم) المتلو والمتعبد بتلاوته، بل يراد به (المصحف)، ولفظ: (Corpus coranique) يراد به (المتن) غالبا، و(Vulgate) يراد بها (النسخة)، وإطلاق كلود جليو تسمية: " La vulgate " على النسخة النهائية للنص القرآني، يعكس تعصبّه للمسيحية، ذلك أنّ هذا المصطلح يحمل في طيّاته الكثير من الدلالات، فكلود جليو هو في الأصل

[1] انظر: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم 4986، ج183/6، دار طوق النجاة، لبنان، ط1، 1422هـ.

[2] انظر: محمّد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دراسة نقدية تحليلية، ص168.

[3] انظر: إبراهيم عوض، قرآنٌ أم قِرْيانة؟ ردّ على سخافات المستشرق الفرنسي كلود جيليو عن النبي الكريم والقرآن العظيم، منشور بتاريخ: 1437هـ-2016م، على موقع أهل التفسير، رابط المقال: https://vb.tafsir.net/tafsir47873/#.XabYtGbjLIU

تاريخ الاطلاع: 2019/09/09.

راهب بدرجة قسيس دومنياكي[1]، وفيه إشارة إلى كون القرآن قد اقتبس من كتب اليهود والنصارى، وهو من الافتراءات التي تمسك بها الأقدمون من المستشرقين وتناقلها من جاء بعدهم وهي ذات الشبهة القائلة بأنّ النّبي ﷺ قد تعّلم من الأحبار والرهبان[2]، وكيف للنبي ﷺ الاطلاع على كتبٍ لم يكن بمقدور الأحبار والرهبان في ذلك الزمان أن يطلعوا عليها كاملة، والقرآن نفسه لا ينفى فقط أن يكون هناك معلمون لمحمد ﷺ ، بل يجعل من نفسه الرقيب والمهيمن على التوراة والإنجيل مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

2.4 في مسألة التغييرات المجراة على النص الذي تمّ جمعه:

يرى كلود جليو أنّ هناك العديد من المشاكل في قراءة النسخة العثمانية، فهي تخلو من علامات الشكل، وأحيانا من الصوائت الطويلة، والتي تثير التباسا في قراءة بعض الكلمات، والأخطر من ذلك كون الخطّ العربي البدائي غير مزود بالنقاط[3].

ويرى أنّ أهمّ التعديلات التي أدخلت على النّص القرآني في عهد بني أميّة تُعزى إلى الحجّاج بن يوسف الرّجل القوّي في النظام الأموي في تلك الفترة، وهي تقتصر في رأي البعض على تصحيح بعض القراءات الناقصة، أو وضعها في ترتيب الآيات وحتى السور، وبالنسبة لآخرين فإنّ الحجّاج بن يوسف كان له الفضل في تحسين الكتابة (الهجاء) من خلال إضافة النقاط. ويرى أنّه على الرغم من التناقضات، فقد كان حكم عبد الملك بن مروان لحظة حاسمة لتشكيل النصوص القرآنية التي وصلت إلينا اليوم.[4]

–تفيد الشبهات في مسألة تغييرات النص الذي تمّ جمعه:

ربّما لن نخوض في الردّ على الشبهات القائمة حول القراءات وكون الرسم سببا في نشأتها فقد كفانا العلماء مؤونة ذلك. [5]

---

[1] الدومنيكان نزعة رهبانية كاثوليكية تأسست سنة 1215م، يتميّز رجالها عن الرهبان الكاثوليك بلباسهم الأبيض الطويل، ودراسات كلود جيليو تكشف عن تعصّبه، ينظر: عبد الرزاق هرماس، الدراسات القرآنية عند المستشرقين، ص142.

[2] له في ذلك مقال بعنوان: "مكونو محمد من اليهود والنصارى"، نشره عام 1998م.

[3] Claude Gilliot ،Origines et fixation du texte coranique; p644

[4] المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة

[5] انظر: "رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها"، للدكتور الفتاح إسماعيل شلبي، و "القراءات في نظر المستشرقين والملحدين" للشيخ عبد الفتاح القاضي، و"تاريخ القرآن" لمحمد طاهر الكردي، و"القراءات واللهجات" لعبد الوهاب حمودة، وغيرهم.

أمّا القول بأنّ أهمّ التعديلات التي أدخلت على النّص القرآني في عهد بني أميّة تُعزى إلى الحجّاج بن يوسف، ووَصْفُهُ في هذا السياق بالرّجل القوّي في النظام الأموي في تلك الفترة، فيه تلميح لتأثير الحجاج بن يوسف في استثمار قضية التنقيط سياسيا من أجل فرض المصحف، وهي شبهة قدماء المستشرقين ممن زعموا أنّ الحجّاج بن يوسف على عهد بني أميّة لم يبق مصحفا إلا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة قد نزلت فيهم وزاد فيه أشياء ليست منه وكتب ستة مصاحف جديدة بتأليف ما أراده ووجه بها إلى مصر والشام ومكة والمدينة والبصرة والكوفة.[1]

والقول في ذلك أنّ كل ما سبق من الحجّج لا برهان له ولا دليل عليها، وإذا فرضنا أن الحجّاج كان له من القوّة والشوكة ما أسكت به كل الأمّة في زمانه على هذا الخرق الواسع في الإسلام والقرآن فما الذي أسكت المسلمين بعد انقضاء عهد الحجّاج؟ وإذا كان الحجّاج قد استطاع التحكم في المصاحف والتلاعب فيها بالزيادة والنقص فكيف استطاع أن يتحكم في قلوب الحفاظ وهم آلاف مؤلفة في ذلك العهد حتى يمحو منها ما شاء ويثبت ما أراد؟[2]، وها هو التاريخ فليأتوا لنا منه بسلطان مبين على أنّ الحجّاج جمع المصاحف فضلا عن أنّه أنقص منها أو زاد فيها، فهو لم يباشر بنفسه كتابة المصحف، بل أمره بعض الحاذقين بذلك، والقصّة معروفة وموّثقة في مصادر المسلمين"[3].

3.4 نصوص الصحابة والاختلافات القرآئية أو القراءات القرآنية:

يوهم كلود جليو القارئ أنّه يستدل بمصادر المسلمين، فيذكر أنّ السنّة النّبوية (la tradition musulmane) تشير إلى وجود نحو 15 نصًا من النصوص الرئيسية قبل العثمانية وعشرات النصوص الثانوية وحتى يومنا لم يتّم العثور على أي مخطوط لهذه النصوص، ثمّ يؤّكد كلود على اختفاء الصيغ المختلفة للنصوص ما قبل العثمانية من تلاوة القرآن والتي تختلف على النسخة النهائية للنص القرآني، ففي نظره بعد أن أصبح النص العثماني معترفا به عالميا من قبل المسلمين في حدود منتصف القرن التاسع، تم تشكيل ما سمّاه "une hiérarchie" [4] أو تسلسل هرمي بين أنظمة القراءة أسفر في الأخير عن قائمة من سبع قراءات قرآنية (أو قرّاء)، عيّن العلماء من خلالها وبالإجماع رؤساءَ مدارس الاقراء(Chefs d'école) وِفْقًا لقيمتهم.

---

[1] انظر: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص264.

[2] المرجع السابق نفسه، ج1، ص274.

[3] انظر: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص407.

[4] Hiérarchie : هو تنظيم للعناصر وفقا لحجمها أو قيمتها.

ويذكر كلود أنّه خلال نفس الفترة أُدين مفسّران: ابن مقسم(934هـ)، وابن شنبوذ (935هـ) لأنهما قرآ بقراءات غير معتمدة.[1]

–تفنيد الشبهات في مسألة نصوص الصحابة والاختلافات القرآئية:

إنّ الملاحظ على كلام كلود أنّه قد أغفل عمل العالم الفذّ ابنُ مجاهدٍ (324هـ) رحمه الله، فما إن تُذكر القراءات السبع إلّا وقد اقترن اسمه بها، فهو أوّل من سَبّع السبعة وِفق قواعد وأركان وضوابط في كتابه "السبعة في القراءات"، ولم يكن ذلك اتفاقا بين العلماء على قائمة من القراءات وفق درجة الاستحقاق وقيمة القراءة بين النّاس، وإن كان لعلماء القراءات في النهاية كغيرهم، معيارهم ومقياسهم المفضل المختار وهو الذي توصل إليه ابن مجاهد بعد بحث طويل نتج عنه استخلاص سبعة قراء اشتملت قراءاتهم على مقاييس القراءة النموذجية الصحيحة المشهورة، فبعد أن وصلت القراءات إلى مرحلة اختلط فيها الصحيح بالسقيم، اقتدى ابن مجاهد بفعل الصحابة رضوان الله عنهم في جمعهم للقرآن وتوحيدهم للمصاحف، كما اقتدى بعمل عثمان رضي الله عنه في درء الخلاف والفتنة، والعمل على إجماع الأمّة وتوحيد كلمتها، ودرء الفتنة وابعاد كل ما لا يصح من القراءات والروايات

فكان اختيار هؤلاء القرّاء السبعة الذين اكتفى بهم ابن مجاهد عن غيرهم، ممن اجتمعت فيهم صفات حميدة موضوعية أهّلتهم للحظوة بالتقدم والتفرّد عن أترابهم.[2]

ولم تذكر كتب علوم القرآن والقراءات ولا التاريخ والسير أنّ هناك إجماعا للعلماء أسفر عن تعيين سبعة قرّاء على رأس كل مدرسة إقراء بل إنّ أوّل من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهدٍ سنة ثلاثمائة وتابعه النّاس وأَلْحَق المحقّقونَ منهم البغويّ في تفسيره بهؤلاء السّبعة قراءة ثلاثةٍ وهم يعقوب الحضرمي وخلف وأبو جعفر بن قعقاع المدنيّ شيخ نافع.[3]

أمّا عن ذِكْر كلود جيليو لقصّة ابن مقسم وابن شنبوذ في معرض حديثه عن نشأة القراءات المتواترة وتوثيق النص القرآني، ما هو إلّا ضرب من أضرب التشكيك واتخاذ قراءتيهما ذريعة إلى مغالطة أهل الحق، بتخيير القراءات من جهة والبحث والاستخراج بالآراء، دون التمسك بالأثر، وفي رأي المستشرقين هو عليه باقي القراءات.

---

1 انظر: Claude Gilliot ،origines et fixation du texte coranique ; p645

[2] انظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، مصر، ط1، 1376 هـ -1957 م، ج1، ص329-330.

[3] انظر: بدر الدّين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص330.

ومما جاء في كتب السير والأعلام أنّ ابن شنبوذ[1] كان قد تخيّر لنفسه حروفا من شواذ القراءات التي تخالف رسم المصحف رواها عن مصحف أبيّ بن كعب ومصحف ابن مسعود وغيرهما، كان يقرأ بها في المحراب مخالفا بذلك جمهور القراء، وقد استُتيب ابن شنبوذ بسبب قراءته بهذه الحروف الشاذة، وأُذعِن بالرجوع.[2]

أمّا ابن مِقْسَم العطّار [3]فقد سلك مذهب ابن شنبوذ، الذي أُنكر عليه فحمل الناس عليه لذلك، ومما طعن عليه أنه عَمَد إلى حروف من القرآن خالف الإجماع فيها كذلك، فقرأها وأقرأها على وجوهٍ ذكر أنها تجوز في اللغة والعربية، فكان يعتمد على المصحف ويخالف النقل أو الأثر، ولذلك عقد له مجلس فأذعن بالتوبة في حضرة الفقهاء والقراء كما أذعن ابن شنبوذ[4].

إذن فمعاقبة ابن شنبوذ وابن مقسم ثابتة في التاريخ لمجاهرتهما بجواز القراءة بالشاذ من القراءات وجعلهما القراءة تابعة للخطّ، ويبدو أن كلود ومن سبقه قد اتخذّ من شذوذ هذين العربيين مدخلاً مناسبًا يفتح من خلاله الطعن في القرآن والقراءات مع علمه – لاشكّ – بأنّ كلاّ من الرجلين قد عقدت له محاكمة وأُدّب واُستتيب.

-يتّخذ كلود جيليو من مسألة اختلاف واختفاء مصاحف الصحابة ذريعةً للقول أنّ مصاحف الصحابة الخاصة التي انفردوا فيها بقراءات شاذة دليلٌ على عدم تواتر القرآن وموثوقيته.

والقول في ذلك أنّ اختفاء مصاحف الصحابة من تلاوة القرآن في أيامنا هو أمر طبيعي، فلم يبق منها شيء بعد أن أَمَر الخليفةُ عثمان (رضي الله عنه) بإحراقها على ملأ من الصحابة، وبموافقتهم، ولا يجب أن نقارن مصاحف الصحابة رضوان الله عليهم التي جمعوها لأنفسهم تحت ظروف خاصة بمصحف عثمان الذي أجمعت عليه الأمّة رسميا، لأنّهم لم يلزموا جميعًا جمع القرآن الكريم ولا ترتيبه على نسق واحد وإنّما كان جمع كل واحد وترتيبه حسبما تيسّر له، فقد كتبها أصحابها لأنفسهم، وأغلبها عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت روايته آحاد أو شاذة، وما نسخت تلاوته، فضلاً عن مختلف التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعونها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحرصون على تقييدها للاستعانة بها في استيعاب مضامين الآيات القرآنية.

---

[1] هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، أبو الحسن البغدادي (ت 328 هـ) شيخ الإقراء ببغداد. أشهر مَن عرف مِن أهل الشواذ، ينظر: شمس الدين الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط1، 1417 هـ-1997م، ص156.

[2] المرجع السابق نفسه، ص159.

[3] هو محمد بن الحسن بن يعقوب أبو بكر البغدادي، المقرئ النحوي العطار (354هـ)، كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين، وأعرفهم بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها، ما ذكر ابن شنبوذ في أمر القراءة الشاذة إلا وذكر ردفا له، ينظر: شمس الدين الذهبي، معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، ص173.

[4] المرجع السابق نفسه، ص 174.

5. انتقادات المسلمين للنسخة المشتركة من القرآن :

يذكر كلود جيليو أنّ عدد من العلماء المسلمين قد انتقد بعنف تلك النسخة العثمانية خلال القرون الثلاثة الأولى من الإسلام، بدءً من صحابة محمّد الذين كان لديهم نص خاص بهم، كما اعتبر بعضُ المسلمين أنّ جزءً من مقاطع القرآن غير أصلية لأسباب دينية وأخلاقية، ويرون أنّ سورة يوسف دخيلة على القرآن. ويذكر كلود أنّ من بين أقوى الاتهامات والأكثر تزييفا وتلاعبا بالقرآن تلك المتواجدة في مصادر الشيعة قبل منتصف القرن العاشر، والقائلة أنّ عليا هو الخليفة الشرعي لمحمّد، والمالك الوحيد الذي يَحقُ له المراجعة الكاملة لآيات الوحي التي جاء بها محمّد، فبعد وفاة النبي واستيلاء أعداء علي على السلطة (أبو بكر – عمر-...الخ)، تمّ رفض هذه النسخة لأنّها تضمنّت إشادة صريحة بعلي ومؤيديه، وتهجما واعتداءات ضدّ خصومه[1].

والجواب أنّ هذه دعاوى لم يقم عليها شبه دليل، وهو كلام من غلو بعض الشيعة في آرائهم الجائرة ولهذا نجد العقلاء منهم يتبرؤون من مثل هذه الخرافات. والقرآن الكريم كلام الله باق على حاله بآياته وسوره ما حصل عليه تبديل ولا تحريف، وقد كفانا أهل السنة الردّ على مثل هذه الافتراءات[2]، والتي اتخذّها هؤلاء الغربيون ذريعة للتشكيك في وثاقة النص القرآني، وتواتر المصحف العثماني. يقول في ذلك القاضي أبو يعلى: " والقرآن ما غُيِّر ولا بُدِّل ولا نُقِص منه، ولا زِيدَ فيه، خلافاً للرافضة القائلين: إن القرآن قد غير وبدل وخولف بين نظمه وترتيبه" – ثمّ يقول: "إن القرآن جمع بمحضر من الصحابة رضوان الله عنهم، وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك ولا طعن فيه، ولو كان مغيراً مبدلاً لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه، لأن مثل هذا لا يجوز أن ينكتم في مستقر العادة... ولأنه لو كان مغيراً ومبدلاً لوجب على علي رضي الله عنه أن يبينه ويصلحه، ويبين

[1] Claude Gilliot،origines et fixation du texte coranique; p646

[2] كتب أهل السنة في ذلك الكثير، منها ما يذكرونه في أبواب الرِدّة من كتب الفقه، وينصون على حكم هذه المسألة، ومنها ما هو في سياق الرَدِ على الزنادقة والملاحدة والطوائف المنحرفة، ومنها ما يذكر في كتب الاعتقاد في بيان منزلة القرآن الكريم. ومنها تآليف معاصرة اهتمت بتقرير المسألة، ودحض شبهات المخالفين، ككتاب: الشيعة والقرآن للشيخ إحسان إلهي ظهير، وكتاب : أصول مذهب الشيعة الإمامية للدكتور ناصر بن عبد الله القفاري. وكتاب: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة له أيضا.

للناس بياناً عاماً أنه أصلح ما كان مغيراً، فلما لم يفعل ذلك، بل كان يقرؤه ويستعمله، دلّ على أنه غير مبدل، ولا مغير"[1].

6. خاتمة:

من خلال ما سبق يتبيّن أنّ كلود جيليو عَرَض وطرح مسائل عِدّة حول تاريخ النص القرآني وتوثيقه استنادًا بزعمه على مصادر المسلمين، ونِتاجُ رأيه في ذلك أنّ التناقضات التي نقلتها مصادر المسلمين بخصوص المسائل المتعلقة بالنص القرآني كانت ولا تزال بالنسبة له وللباحثين الغربيين فرصة: " لإعادة صياغة تاريخ للقرآن"!!

-في تعامل كلود جيليو مع مسألة أصل النص القرآني -يلاحظ عليه أنّه قد تشبّع بمنهج الأثر والتأثر الذي عليه ديدن المستشرقين، ذلك المنهج الخطير الذي يزعم تأثر القرآن بغيره من الكتب السماوية، والذي ينفي ربانية المصدر القرآني، واختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه، وهو جليٌّ من خلال استعمال المصطلحات المتعلقة بكتب اليهود والنصارى.

-والمتتبع لمصادر كلود جليو على تنوعها، يلاحظ أنّها نفس المصادر التي اعتمدها أسلافه من المستشرقين القدامى، وإذا أمعنا النظر في إحالاته وهوامشه، نجدُ أنّه لا يستغني عن كتابي: تاريخ القرآن، وكتاب: "critiques sur le style du coran Remarques» لتيودور نولدكه، وكتاب: " introduction au coran " لبلاشير، وكتاب: " materials for the history of the text of the qur'an " لآرثر جيفري، وغيرها... بالرغم من وجود الكثير من الكتب الموثوقة والمعتمدة في علوم القرآن، وعلم القراءات وكتب التفسير وغيرها، لكن ليس فيها ما يسعف القوم في تسويغ ما يَصْبون إلى تأكيده من أحكام مغرضة، واستنتاجات مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك.

-ومما يلاحظ كذلك على منهج كلود جيليو في تعامله مع المصادر الإسلامية، تعمّده اختيار الأخبار الضعيفة والروايات الشاذة أو المنقطعة في بطون المصادر العربية، قصد إثارة التناقضات، وضرب بعض الروايات ببعض قصد التشكيك في مصداقية النص القرآني، كما فعل في معرض حديثه عن تاريخ جمع القرآن، حين ذكر قصّة الرفض الذي كان من الصحابي ابن مسعود، وقصّة ابن شنبوذ وابن مقسم، وهو منهج عام لدى المستشرقين في الدراسات القرآنية.

-ويمكن القول بأن حصر المصادر ونوعيتها يكاد يكون تقليداً في البحث الاستشراقي، فهو يرمي إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات نفسها التي نسجها المستشرقون الأوائل، وذلك عن طريق الإشارة إلى الاقتباسات

[1] أبو يعلى الحنبلي، كتاب المعتمد في أصول الدين، ت: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، ط1، 1986م، ص258.

والإحالات ذاتها ثم الاستنتاجات والافتراضات كذلك، وبذلك لا نلمس الجديد في كتاباتهم، حتى وإن تغيّرت الأساليب أو المسميّات ومهما تدثّر هؤلاء بالموضوعية والمنهجية العلمية.

والمستشرق كلود جليو عمد إلى صياغة تلك الآراء صياغة جديدة، وأطّرها بإطار ملون بألوان المنهجية والعلمية الحديثة، التي قد تستهوي المتلقي بسهولة.

-ومن نافلة القول أنّ فعالية مناهج البحث تعود إلى المصادر المعتمدة الأصلية الموثوق بها، لأنّها وحدها توصل إلى اكتشاف الحقيقة العلمية، ثمّ البرهنة عليها بصورة موضوعية، والقرآن قد جُمِعَ وِفق منهج علمي رصين قوامه التوثيق والدقة والتثبت.

في الأخير أرجو أن يكون هذا المقال قد حقق الغرض من إظهار الحقّ والتنبيه على خطورة ما يُصدّرُ من أفكار وآراء باسم البحث العلمي، وضرورة التصدي لكلّ ما يمّس قداسة القرآن الكريم.

7. قائمة المراجع:

1. إبراهيم عوض، قرآنٌ أم قِرْيانة؟ ردّ على سخافات المستشرق الفرنسي كلود جيليو عن النبي الكريم والقرآن العظيم، منشور بتاريخ: 1437هـ-2016م، على موقع أهل التفسير، رابط المقال: https://vb.tafsir.net/tafsir47873/#.XabYtGbjLIU
2. أبو يعلى الحنبلي، كتاب المعتمد في أصول الدين، ت: وديع زيدان حداد، دار المشرق بيروت، ط1، 1986م.
3. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، مصر، ط1، 1376 هـ -1957 م.
4. تاريخ الاطلاع: 2019/09/09
5. جبريل سعيد رينولدز، القرآن في محيطه التاريخي، ترجمة: سعد الله السعدي، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2012م.
6. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1394هـ-1974م.

7. عبد الرزاق هرماس، الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأوّل من القرن الخامس عشر للهجرة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 6، 2011م.
8. محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1407هـ-1987م.
9. محمّد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراق -دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ-2002م.
10. محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، ط1، 1422هـ.
11. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط3، دت.
12. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1435هـ-2014م.
13. Anne Debray-Décory (2010) ; Bibliographie de Claude Gilliot ; Sur le site: https://www.mehdi-azaiez.org/GILLIOT-Claude consulté le : 06/08/2019.
14. Claude Gilliot (2008) ; Origines et fixation du texte coranique ; crain – info/ revue- études, 12 Tome 409 ; p 643-652.